

ديمقراطية النهضة وعرش الغنوشي: من يسقط أولا

ماذا تحمل مجموعة الـ100 من ثقل تاريخي وفكري وتنظيمي لإجبار الغنوشي على التنزلات



هل دقت ساعة رحيل الغنوشي

توجد شخصية مناسبة داخل حركة النهضة لخلافة الغنوشي. لقد أرسل خروج بعض القيادات الوازنة دون أن تحقق أي شيء من مطالبها، مثل حمادي الجبالي وعبد الفتاح مورو وعبد الحميد الجلاصي، إشارات قوية إلى الذين يفكرون بمصير مشابه بالوقوف في وجه الغنوشي، وهو ما يجعل الأغلبية من عريضة المئة تتراجع عن خيارها تحسب الترغيب والترهيب وخوفا من مسار من سبقوا.



المعجمي الوريثي
على النهضويين ألا
يخسروا ما هو من
مشمولات المؤتمر

قد يبقى من هؤلاء المعترضين من يثبت على قراره، ومن نمرة هم يقتحمون الباب أمام الخروج النهائي قبل المؤتمر أو خلاله أو بعده، والوجهة ستكون تشكيل جسم تنظيمي شبيه بالمؤتمر الشعبي في السودان حين خرج الراحل حسن الترابي عن حزب عمر البشير، وهو حزب إخواني مطعّم بعسكريين وانتهائين جلبتهم الرغبة الكاسحة إلى الحكم.

وسيكون دور الحزب الجديد ترديد الشعارات القديمة وتصبح محاولة استعادة صفة الإسلامية ذات وقع السحر في الاستقطاب، والتبرؤ من مسار البرجماتية ما بعد 2011، أي يقترن من ثقافة الفصل الطائفي في ثمانينات القرن الماضي وتسعيناته (حركة ثورية تقدمية) وفي نفس الوقت كسب ثقة التيار الدعوي الذي فرض عليه الانكفاء والاكتفاء بالدروس في المساجد والاستقطاب.

وقد تقضي سياسة التجميع إلى استعادة الكثير من المنسحقين، لكن توليفة المناقشات قد تؤدي إلى الانفجار. وللنوازي، سيظل الجسم الأكبر الماسك بالشرعية والنفوذ والمال والعلاقات الدولية بيد الغنوشي. وأيّا كانت نتيجة هذا الصراع سواء بتراجع الغنوشي عن مساعي التمديد أو قبول الخصوم بالأمر الواقع، فإن النهضة ستكون تحت امتحان عسير نتائجه مهمة في تقليص تمدد الحركة ونفوذها داخل المؤسسات، وطماننة الناس على أنها تحولت إلى حركة مدنية تحتمل إلى القانون وتخلّي، ولو مرغمة، على ثنائية الزعيم الملهم، والقطع المطيع.

والصقور إلى الانسحاب الصامت أو إعلان الاستقالة والتنفيس عن أزماتهم في بيانات مقتضبة أو عبر الظهور الإعلامي، وظل الغنوشي الرجل الأول في الحزب. ومن الآن يتبنا سميح ديلو، القيادي الذي يشاع أنه من يقود مغامرة رفع التحدي أمام الغنوشي، بأن المؤتمر لن يغير شيئا وأن "مؤتمرات الغالبية تنتهي بالفشل ومستقبل صعب ينتظر النهضة". وتساءل ديلو في رد مبطن على رسالة منسوبة للغنوشي "لماذا نفرّق بين ما يسري على الدول وبين ما يسري على الأحزاب، لا شخص صالح لكل زمان ومكان زعيما كان أو رئيسا".

وينتظر أن يكون الفرز الآن على قاعدة من يكون مع توافقات قبل المؤتمر لترتيب واقع القيادة وأسماء القادة، وهذا ما يريده المعارضون الذين ياملون التوصل إلى حل وفاق مع الغنوشي ربما بخلق وظيفة شرفية له شبيهة بدور المرشد الذي يستشار في كبار الأمور، وقد برضى بها الغنوشي لتكون بوابة الحكم من وراء الستار. وهناك خطّان يريد أن يجسم الخلافات داخل المؤتمر، الذي هو سيد نفسه، وسيكون في خدمة الغنوشي وفريق المتنفذين من حوله. وفي الحالتين قد يكون الرئيس الحالي للنهضة أكبر المستفيدين.

بدائل محدودة

لا يقف إلى جانب الغنوشي البرجماتيون فقط، فهناك شخصيات يفترض أن تكون اليا في صف الغاضبين اعتمادا على تاريخها مثل المعجمي الوريثي الذي قال إن "على النهضويين ألا يخسروا ما هو من مشمولات المؤتمر خارج المؤتمر وقبل انعقاده". ربما بهدف معرفة موازين القوى الحقيقية سواء ما تعلق بنفوذ الغنوشي أو بشعبية خصومه. كما سعى محمد القوماني القيادي القادم من اليسار الإسلامي إلى الإمساك بالعصا من الوسط بالقول إن "سدّ الشغور في منصب الرئيس لا يعني حل مشكل القيادة"، بمعنى أن الديمقراطية مضامين وشبكة علاقات وأنه لو ذهب الغنوشي فقد لا تقدر القيادة على تغطية تأثيره خاصة في شبكة العلاقات الخارجية. وخلص القوماني إلى القول إنه "لا

ومن الواضح أن هذه المحاذير كانت في حساب القيادات التي وقّعت على العريضة، والتي كانت تتوجه إلى الغنوشي بخطاب هادئ فيه رجاء أن يدفع بأي قيادي مهما كان وزنه إلى الشارع. ولا يتحكم الغنوشي فقط في قرار القيادات التاريخية من بوابة الرواتب، فهو يتحكم في القيادات الجديدة المختلفة داخل الجسم التنظيمي، إذ فيها قيادات تنفيذية عاملة إلى جانب الغنوشي وفي مواقع متقدمة مثل نور الدين العربي رئيس المكتب السياسي، وفتحي العيادي رئيس مجلس الشورى السابق، وعماد الحمادي الوزير السابق وأحد أبرز التيار البرغامتي، وهناك نواب بالبرلمان، وقيادات تاريخية في مجلس الشورى، وقيادات محلية ذات تأثير ميداني.

عريضة المئة تريد من الغنوشي أن يتنازل عن عرشه بهدوء وأن "ينقى حيايب"، لكن الرسالة المضادة التي روجت باسم الغنوشي، وقد لا تكون له، أعادت هؤلاء إلى أرض الواقع، حيث قال لهم إنه الزعيم التاريخي، وإن سنن رؤساء الدول لا تنمأ مع وضعه. وينتظر أن يتم التبرؤ من الرسالة بعد أن أدت هدفها في إيصال رد الغنوشي القاطع وبأسلوب حاد مع ما تخلله من مراوحة بين السخرية والنصيحة والاستعلاء.

ويقول متابعون للجدل داخل النهضة أن الغنوشي يمتلك وضعاً أفضل من خصومه، حيث أن غالبية المؤسسات تحت نفوذه، فضلا عن امتلاكه ورقة المؤتمر وتاويل القوانين، فقد دابت الدول والأحزاب والمنظمات على إيجاد تخريجات تقدر من خلالها على الهروب من القوانين، كما أن التمسك بفكرة أن المؤتمر سيد نفسه ستتيح للغنوشي التمديد في راحة تامة في ضوء هيمنته المالية والمعنوية على التنظيم ذي الخلفية الإخوانية، والذي ظل ينظر إلى الديمقراطية على أنها شوري، والشوري يمكن ألا تكون ملزمة، وكذلك قرار المؤسسات.

والظاهر أن تمرير الفصل 31 في المؤتمر العاشر كان في سياق ترضيات وامتصاص غضب بعد أن نجح الغنوشي في ترويض "صقور" الخط المقابل وإعطائهم عمودا كثيرة لاعتزازها سياسيا، وأساسا نكابة الريح، واضطر بعض هؤلاء

والحلبية، وفي وجود العشرات من القيادات التاريخية التي تحصل على رواتب من الحزب، وأي غضب من الغنوشي أو من المتنفذين من حوله يمكن أن يدفع بأي قيادي مهما كان وزنه إلى الشارع. ولا يتحكم الغنوشي فقط في قرار القيادات التاريخية من بوابة الرواتب، فهو يتحكم في القيادات الجديدة المختلفة داخل الجسم التنظيمي، إذ فيها قيادات تنفيذية عاملة إلى جانب الغنوشي وفي مواقع متقدمة مثل نور الدين العربي رئيس المكتب السياسي، وفتحي العيادي رئيس مجلس الشورى السابق، وعماد الحمادي الوزير السابق وأحد أبرز التيار البرغامتي، وهناك نواب بالبرلمان، وقيادات تاريخية في مجلس الشورى، وقيادات محلية ذات تأثير ميداني.

لكن المجموعة ستظل محدودة التأثير والاستقطاب في ظل شروط موضوعية فشلت "عرائض" سابقة في القفز عليها أو مجرد حلقتها، من ذلك أن الانتماء داخل النهضة لا تتحكم فيه عناصر موضوعية خاصة ما تعلق بالبرامج والأفكار والكتل الفكرية أو المناطية، ففي تنظيم سري وبخلفية إخوانية ما يزال عامل الولاء والبيعة للقيادة هو المتحكم بالرغم من كل الجدل حول فصل الدعوي عن السياسي أو التحول إلى حزب مدني محافظ يستمد موجهاته الكبرى من الإسلام.

وهو ما أشار إليه الباحث الجامعي سامي إبراهيم حين وصف هذه "الانفصالية" ضد الغنوشي بأنها "أشبه بنقض ما بقي من نظام البيعة الذي تأسست عليه الجماعة الإسلامية الأولى والخروج عن شكل من الانتظام التقليدي القائم على ثنائية الإمامة والزعامة والطاعة في المنشط والمكره والشورى المعلمة غير الملزمة".

أوراق الزعيم

يمتلك الغنوشي ورقة أهم قد تدفع الكثير من مجموعة الـ100 قيادي إلى التراجع، وهي قضية التمويل والرواتب في حركة فيها العشرات من المتفرغين في مقراتها المركزية وأساسا نكابة والجهوية

السماء" تقضي إلى تفكيك الحركة الإخطبوطية التي تمكنت من المشهد السياسي وظلت تديره باقتدار. لكن المهم البحث عن خصوصيات هذه "الفرقة الناجية" ومدى قدرتها على إحداث "الزلزال" الذي يتوقعه بعض المراقبين والسياسيين. تتكون المجموعة من فسيفساء قيادية مهمة تظهر توزع تأثيرها على واجهات مختلفة داخل الجسم التنظيمي، إذ فيها قيادات تنفيذية عاملة إلى جانب الغنوشي وفي مواقع متقدمة مثل نور الدين العربي رئيس المكتب السياسي، وفتحي العيادي رئيس مجلس الشورى السابق، وعماد الحمادي الوزير السابق وأحد أبرز التيار البرغامتي، وهناك نواب بالبرلمان، وقيادات تاريخية في مجلس الشورى، وقيادات محلية ذات تأثير ميداني.

لكن المجموعة ستظل محدودة التأثير والاستقطاب في ظل شروط موضوعية فشلت "عرائض" سابقة في القفز عليها أو مجرد حلقتها، من ذلك أن الانتماء داخل النهضة لا تتحكم فيه عناصر موضوعية خاصة ما تعلق بالبرامج والأفكار والكتل الفكرية أو المناطية، ففي تنظيم سري وبخلفية إخوانية ما يزال عامل الولاء والبيعة للقيادة هو المتحكم بالرغم من كل الجدل حول فصل الدعوي عن السياسي أو التحول إلى حزب مدني محافظ يستمد موجهاته الكبرى من الإسلام.

وهو ما أشار إليه الباحث الجامعي سامي إبراهيم حين وصف هذه "الانفصالية" ضد الغنوشي بأنها "أشبه بنقض ما بقي من نظام البيعة الذي تأسست عليه الجماعة الإسلامية الأولى والخروج عن شكل من الانتظام التقليدي القائم على ثنائية الإمامة والزعامة والطاعة في المنشط والمكره والشورى المعلمة غير الملزمة".

ما يجري في النهضة هو أبعد من صراع المواقع بين رئيس الحركة راشد الغنوشي وخصومه، وهو امتداد لفعل الزمن على الحركات الفكرية والسياسية العابرة للدول من أجل جزها إلى مربع المحلية والتفكير القطري، فضلا عن امتحان صعب لشعارات كانت تطلق في الماضي دون أي تقييم عملي لها. فهل تخلت النهضة عن "إسلاميتها" لتسلك طريق المدنية، وهل هي فعلا حركة ديمقراطية تحتكم للمؤسسات؟

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي



لم تنجح الخلافات الماضية داخل حركة النهضة في إجراج رئيسها راشد الغنوشي الذي نجح في تدويلها وتحويلها إلى عنصر دائم له داخل تنظيم يحاول أن يتخلص من إسلاميته عبر التمسك بالواجهة الليبرالية تحت عناوين براقعة مثل الانفتاح وتبني المدنية والاحتكام للديمقراطية في إدارة شؤونه وصراعاته.

لم تنجح تلك التحركات والصيحات الصادرة عن قيادات بارزة مثل عبد الحميد الجلاصي ورياض الشعيبي في خللة عرش الغنوشي المتين، لكنها وفرت التراكم الكافي لبروز كتلة نوعية تضم 100 من قيادات متنوعة (تاريخية وتنظيمية ومحلية، في القيادة التنفيذية وفي مجلس الشورى) تطالب بتخريجه وتقطع الطريق أمام فكرة التمديد له عبر تاويل القانون الداخلي أو عبر تمكين المؤتمر القادم من إيجاد تخريجة تنتج له البقاء لدورات إضافية، على شاكلة ما يحدث في أنظمة من العالم الثالث تعتقد أن الرئيس هو الضامن الوحيد للاستقرار وأن بقاءه، ولو لعقود، هو الحل.

المثير أن قيادات موقعة على العريضة نفت أن تكون سرربت الوثيقة إلى وسائل الإعلام، ما يعني أن الشكوك يمكن أن تتوجه للغنوشي وفريقه بالوقوف وراء تسريب الوثيقة في مسعى لإجراج خصومه أمام الانصار في الوقت الذي تجد النهضة نفسها في مواجهات متعددة مع الرئيس التونسي قيس سعيد، ومع الحزب الحر الدستوري، فضلا عن ضغوط خارجية متعددة.



الغنوشي يمكن أن يوصف بأنه أقدم رئيس حزب سياسي في الشرق الأوسط، حيث بقي قرابة نصف قرن تخللتها انقطاعات ظرفية بسبب طوارئ (سجن، أو اختفاء، أو وجود بالخارج)، وارتبطت شرعية القيادات، التي كانت تخلفه والتي يتم انتخابها عادة، بخروجه إلى العلن، فلا شرعية انتخابية أمام شرعية الأمير المستمدة من ثقافة الطاعة والولاء التي تأسست عليها الجماعة الإسلامية ذات الخلفية الإخوانية، وهي ثقافة ما تزال تهيم داخل الحزب الإسلامي (النهضة) بالرغم من الصراعات والصدمات التي تلقاها بين الفينة والأخرى.

أوراق الخصوم

السؤال الذي يطرح الآن في النقاشات التي باتت توفر لها مواقع التواصل الاجتماعي حذا أوفر من الحرية والجرأة: ماذا تحمل مجموعة المئة من ثقل تاريخي وفكري وتنظيمي لإجبار الغنوشي على تقديم تنازلات لخصومه لا قد يكون بينها المطالب الرئيسي أي وقف التمديد لدورات جديدة استنادا على قرار المؤتمر التاسع الذي حدد دورات رئيس الحركة في دورتين متتاليتين، وكان الهدف منه إجبار الغنوشي على إخلاء المكان وفسح المجال لبروز شخصية جديدة تستفيد من مناخ الحرية لبناء مقومات كاريزما خاصة بها. ربما يتم النخ في قدرات قائمة المئة لا اعتبارا سياسيا، وأساسا نكابة في الغنوشي، أو البحث عن "هدية من